مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار بمركز الخليج للأبحاث
Gulf Research Center Dialogue Lab

أوراق ثقافية

تحولات حركة حماس من سرديات الحسم إلى أولويات البقاء

د. عمر الرداد

خبير بالقضايا الأمنية والسياسية
الأردن

يوليو – 2026

تشير التقديرات إلى أن الحرب التي اندلعت في قطاع غزة، بعد السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، لم تؤدِ إلى حسم استراتيجي نهائي لأي من أطراف الصراع، لكنها أحدثت تحولاً بنيوياً عميقاً في البيئة السياسية والعسكرية والأمنية المحيطة بحركة حماس، فقد دخلت الحركة الحرب بمنظومة من السرديات السياسية والعسكرية التي افترضت إمكانية إحداث تحول جذري في معادلات الصراع مع إسرائيل، لكنها وجدت نفسها بعد أكثر من عامين من المواجهة أمام واقع مختلف فرضته موازين القوى الصلبة وحسابات الفاعلين الإقليميين والدوليين، وتشير المعطيات إلى أن الأثر الأبرز للحرب لا يتوقف عند حجم الخسائر العسكرية والتنظيمية، بل يمتد إلى اهتزاز عدد من الافتراضات الاستراتيجية التي حكمت سلوك الحركة خلال العقود الماضية، بما يدفعها تدريجياً نحو نموذج أكثر براغماتية، يركز على البقاء التنظيمي والسياسي وإعادة التموضع داخل النظام السياسي الفلسطيني.

اختبار الافتراضات الاستراتيجية المؤسسة لعملية السابع من أكتوبر:

مثلت عملية السابع من أكتوبر ذروة المشروع الاستراتيجي لحركة حماس، والقائم على الجمع بين تنامي القدرات العسكرية، وتعزيز منظومة الأنفاق، وترسيخ معادلات الردع الصاروخي، والاعتماد على شبكة تحالفات إقليمية جسدها محور المقاومة، واستندت لفرضية أن أية مواجهة كبرى مع إسرائيل لن تبقى محصورة داخل قطاع غزة، بل ستؤدي إلى تفعيل جبهات متعددة بصورة متزامنة بما يحد من قدرة إسرائيل على تركيز قوتها العسكرية في ساحة واحدة، وكانت تسريبات ذات طابع أمني اشارت إلى اجتماعات عقدت في بيروت ضمت ممثلين عن حماس وحزب الله والحرس الثوري الإيراني، تناولت تصورات المواجهة مع إسرائيل وإمكانية انخراط أكثر من جبهة في أي حرب واسعة النطاق، وعززت تعهدات قدمت لحماس الاعتقاد بأن البيئة الإقليمية باتت أكثر استعداداً لدعم مواجهة ممتدة مع إسرائيل مقارنة بمراحل سابقة.

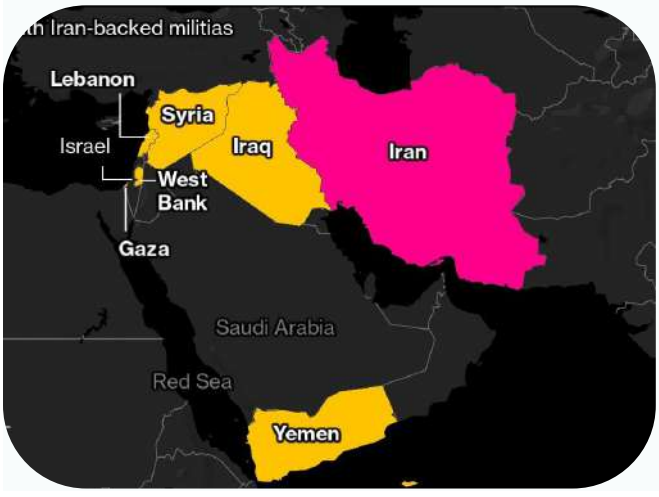

إلا أن التطورات اللاحقة أظهرت أن هذه الفرضيات تعرضت لاختبار قاسٍ، فعلى الرغم من انخراط أطراف إقليمية مختلفة في دعم غزة بدرجات متفاوتة، فإن أياً منها لم ينتقل إلى مستوى المواجهة الشاملة القادرة على تغيير مسار الحرب بصورة حاسمة، وبقيت جبهة جنوب لبنان وهي الأهم، محكومة بقواعد اشتباك محسوبة، واختارت إيران تجنب الانخراط المباشر في مواجهة مفتوحة مع الولايات المتحدة وإسرائيل، فيما استمرت عمليات الإسناد القادمة من اليمن والعراق ضمن حدود التأثير السياسي والإعلامي أكثر من كونها أدوات لتغيير التوازن العسكري المباشر، وكشفت هذه التطورات حدود مفهوم "وحدة الساحات"، وأظهرت أن حسابات الحلفاء تخضع في النهاية لأولويات الأمن القومي والمصالح الوطنية الخاصة بكل طرف، الأمر الذي أدى إلى تآكل أحد أهم الافتراضات الاستراتيجية التي استندت إليها الحركة في تقديرها لمسار الحرب ومآلاتها.

تآكل معادلات الردع وإعادة تشكيل العقيدة القتالية:

في الجانب العسكري، تعرضت العقيدة القتالية التي بنتها الحركة خلال العقدين الماضيين إلى مراجعة عملية قاسية، فقد تم بناء هذه العقيدة على فرضية أن امتلاك ترسانة صاروخية متنامية وشبكة أنفاق واسعة النطاق يمكن أن يخلق حالة من الردع المتبادل تمنع إسرائيل من خوض حرب برية واسعة أو السعي إلى إسقاط حكم الحركة في غزة.

إلا أن الحرب أثبتت أن إسرائيل كانت مستعدة لتحمل كلفة اقتصادية وعسكرية مرتفعة مقابل تحقيق أهدافها الاستراتيجية، مستفيدة من تفوقها الجوي والاستخباري والدعم العسكري والسياسي الغربي الواسع. ونتيجة لذلك تراجعت فعالية معادلة الردع التي سعت الحركة إلى ترسيخها منذ سنوات، كما أظهرت الحرب حدود التحول من نموذج حرب العصابات التقليدية إلى نموذج القوة شبه النظامية. فقبل الحرب عملت الحركة على بناء تشكيلات عسكرية منظمة وشبكات دفاع ثابتة ومنظومة قيادة وسيطرة متطورة نسبياً، إلا أن كثافة النيران الإسرائيلية وطبيعة العمليات العسكرية أجبرتها تدريجياً على العودة إلى أساليب القتال اللامركزية المعتمدة على المجموعات الصغيرة والخلايا المنتشرة وحرب الاستنزاف طويلة الأمد.

تداعيات الحرب على الشرعية السياسية والبيئة المجتمعية:

في خضم هذه التحولات شهد الخطاب السياسي لحركة حماس انتقالاً تدريجياً من لغة الحسم والتحرير إلى لغة البقاء وإدارة الخسائر، فقبل الحرب كانت الحركة تتحدث عن تغيير البيئة الاستراتيجية للصراع وفرض معادلات جديدة على المستوى الإقليمي، بينما تركزت مطالبها خلال مراحل التفاوض اللاحقة على وقف إطلاق النار وانسحاب القوات الإسرائيلية

وإدخال المساعدات الإنسانية وإعادة الإعمار وتبادل الأسرى، وعكس هذا التحول انتقال الحركة من استراتيجية هجومية تسعى إلى فرض وقائع جديدة إلى استراتيجية دفاعية تهدف إلى الحفاظ على ما تبقى من قدراتها السياسية والتنظيمية والعسكرية، وبالتزامن فرضت الحرب تحديات غير مسبوقة لجهة علاقاتها بالحاضنة الشعبية في قطاع غزة، فقد أدى التدمير الواسع للبنية التحتية وحالات النزوح الجماعي والانهيار الاقتصادي والخدماتي إلى خلق واقع إنساني شديد القسوة انعكس بصورة مباشرة على المزاج الشعبي العام.

ورغم استمرار وجود بيئة مؤيدة لخيار المقاومة، فإن حجم الخسائر البشرية والمعيشية دفع قطاعات متزايدة إلى طرح تساؤلات تتعلق بكلفة الخيارات العسكرية وحدود القدرة المجتمعية على تحمل تبعات الصراع المفتوح، كما أظهرت الحرب حدود نموذج الجمع بين المقاومة المسلحة والحكم المنفرد، فمنذ سيطرتها على قطاع غزة عام ٢٠٠٧ سعت الحركة إلى تقديم نفسها بوصفها بديلاً سياسياً ومؤسساتياً كاملاً للسلطة الفلسطينية، إلا أن التدمير المنهجي الذي تعرضت له المؤسسات الحكومية والخدماتية أضعف قدرتها على الاستمرار بهذا النموذج، ما دفعها إلى إبداء مرونة أكبر تجاه صيغ الحكم التشاركي أو الحكومات التوافقية أو الأطر التكنوقراطية في مرحلة ما بعد الحرب.

إعادة التموضع الاستراتيجي ومستقبل الحركة:

تشير مجمل المعطيات إلى أن حركة حماس لم تخرج من الحرب كتنظيم منهار أو فاقد للقدرة على التأثير، لكنها خرجت أمام واقع استراتيجي مختلف يفرض عليها إعادة تعريف أولوياتها وأدواتها وأهدافها، فبدلاً من التركيز على مشاريع التغيير الإقليمي الكبرى، تبدو الحركة أقرب إلى التركيز على إعادة بناء بنيتها التنظيمية والحفاظ على حضورها السياسي واستعادة جزء من شرعيتها المجتمعية وتأمين موقع مؤثر في أي ترتيبات فلسطينية مستقبلية.

وربما كان التحول الأهم داخل حركة حماس لا يتعلق فقط بإعادة بناء قدراتها العسكرية، بل بإعادة تقييم العلاقة بين الأهداف والوسائل، فقد أظهرت الحرب حدود الرهان على تحقيق مكاسب استراتيجية كبرى من خلال أدوات عسكرية غير قادرة على موازنة التفوق الإسرائيلي الشامل، وكشفت أن تكلفة إدارة المواجهة المفتوحة قد تتجاوز قدرة البيئة المحلية الفلسطينية على التحمل لفترات طويلة، وأمام هذا الواقع الجديد يتوقع أن تذهب الحركة تدريجياً لإعادة صياغة مفهوم المقاومة نفسه، بحيث يصبح أكثر

ارتباطاً بإدارة الصراع واستنزاف الخصم والحفاظ على الحضور السياسي والتنظيمي، وأقل ارتباطاً بمحاولات إحداث تحولات استراتيجية كبرى دفعة واحدة، دون ان يعني ذلك تخلي الحركة عن خيار المقاومة المسلحة، وإنما إعادة ترتيب موقع هذا الخيار ضمن منظومة أوسع من الأدوات السياسية والاجتماعية والتنظيمية.

ومن المرجح أن يتحدد مستقبل الحركة خلال المرحلة المقبلة بناءً على قدرتها على التكيف مع ثلاث حقائق رئيسية أفرزتها الحرب:

- **أولها تراجع فاعلية فرضية تعدد الجبهات كضمانة استراتيجية**
- **ثانيها ارتفاع كلفة الجمع بين الحكم والمقاومة في بيئة مدمرة اقتصادياً واجتماعياً**
- **ثالثها تزايد أهمية الشرعية المجتمعية بوصفها أحد مصادر القوة الأساسية للحركة**

ومن غير المستبعد انتقال حماس من نموذج الحركة الساعية إلى تغيير البيئة الاستراتيجية الإقليمية إلى نموذج الحركة الساعية إلى ضمان البقاء والتأثير داخل النظام السياسي الفلسطيني، وهو تحول قد يشكل السمة الأبرز لمرحلة ما بعد السابع من أكتوبر.

وفي الخلاصة، فإن الأثر الأهم للحرب قد لا يتمثل فقط في إعادة تشكيل قطاع غزة أو موازين القوى الإقليمية، بل بإعادة تشكيل حركة حماس نفسها بوصفها فاعلاً سياسياً وعسكرياً يضطر إلى التكيف مع واقع استراتيجي جديد يختلف بصورة جوهرية عن ذلك الذي سبق السابع من أكتوبر، ورغم تعدد سيناريوهات مستقبل حماس، الا أن السيناريو الأكثر ترجيحاً يتمثل في بقاء حركة حماس فاعلاً رئيسياً في المشهد الفلسطيني، ولكن ضمن بيئة أكثر تقييداً من الناحية العسكرية والسياسية، ويرجح أن تركز الحركة خلال السنوات المقبلة على إعادة بناء بنيتها التنظيمية وترميم علاقتها بالحاضنة الشعبية والسعي إلى ضمان دور مؤثر في أي ترتيبات تخص إدارة قطاع غزة أو النظام السياسي الفلسطيني، وبالتزامن يتوقع ان تواصل الحركة الحفاظ على قدرات عسكرية محدودة تؤمن لها وظيفة الردع والبقاء، بما في ذلك الدفاع عن النفس، دون الانخراط بمغامرات عسكرية واسعة النطاق شبيهة بعملية السابع من أكتوبر، ما لم يطرأ تحول جوهري على البيئة الإقليمية أو طبيعة الصراع مع إسرائيل.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium